

مؤتمر "العرب والهند: تحولات العلاقة مع قوة ناشئة ومستقبلها"

5-6 أيار/ مايو 2018

الورقة المرجعية

عندما حصلت الهند على استقلالها عام 1947 بعد نحو ثلاثة قرون من الاحتلال البريطاني، توقعت قلة قليلة أن تصل إلى ما وصلت إليه اليوم من تقدم تقني وصناعي ونمو اقتصادي. فالهند تحتل المرتبة السابعة على مستوى العالم من حيث الناتج المحلي الإجمالي بحجم اقتصاد يزيد على 2.2 تريليون دولار¹. وبحسب إحصائيات البنك الدولي، يعد اقتصاد الهند أحد أسرع الاقتصادات نموًا في العالم، ويتوقع أن ينمو بنسبة 7.7 في المئة بحلول 2019-2020،² وأن ينتقل إلى المرتبة الرابعة عالميًا من حيث الحجم مع حلول العام 2022. ويتطلب هذا النمو الاقتصادي تأمين مصادر طاقة لاستدامته. فالهند تحتل المرتبة الثالثة عالميًا في استيراد النفط بعد الولايات المتحدة الأمريكية والصين، وتتوقع الوكالة الدولية للطاقة أن يرتفع استهلاك الفرد الهندي من النفط إلى 1.5 برميل سنويًا بحلول العام 2022 ما سيجعلها أكثر اعتمادًا على استيراد الطاقة مستقبلاً وأكثر ميلاً من ثم إلى تطوير علاقاتها بدول الخليج العربية المنتجة للنفط³.

لكن العلاقات العربية - الهندية ليست وليدة اليوم، وليست نابعة من مصالح متبادلة قائمة على عنصر الطاقة فحسب، بل هي قديمة قدم شعوب المنطقتين. فقد كان العرب، منذ القدم، على معرفة غير قليلة بالهند وأحوالها عن طريق تجارتهم، فاختلطوا بأهلها وبُهرروا بحضارتها. وتعددت سبل الاتصال بين العرب بالهند وتعاضمت

¹ "Gross domestic product 2016," Data World Bank, at: <https://goo.gl/z9SA3L>

² "Skilling India," World Bank, June 23, 2017, at: <https://goo.gl/GW3QzW>

³ "OIL 2017: Analysis and Forecasts to 2022," International Energy Agency, April 2017, at: <https://goo.gl/ssSu4w>

في الحقبة الإسلامية، واتخذت أشكالاً متنوعة. وازدادت معرفة العرب بأوضاع الهند عن طريق التبادلات التجارية بوجه خاص، حيث قاموا بدور الوسيط التجاري ما بين عالم المتوسط وبلاد الهند. فكانوا يأتون من الهند بالبهارات والقهوة والفيلة والنمور وجلودها، والياقوت، وخشب الصندل الأبيض، وخشب الأبنوس. واستقر بعضهم لأغراض التجارة على السواحل الجنوبية الغربية لشبه القارة الهندية في القرن الثامن الميلادي.

وقف العرب القدماء على جانب من حضارة الهند وأخبارها، ومظاهرها الثقافية، عن طريق المدارس العلمية في أرض الرافدين التي كانت على اتصال وثيق بالهند، ويأتي إليها علماءها، وقد تخرّج على أيدي الهنود بمدرسة جنديسابور الساسانية فريق من العرب، منهم الحارث بن كدة الثقفي طبيب العرب. وتكثفت العلاقة بين الطرفين بشكل أعمق؛ فموازاة تبادل المنافع التجارية وتدقق الهجرات، تبادل الخلفاء والسلاطين المسلمون مع ملوك الهند الرسائل والهدايا والسفراء، فأنتت إلى الخليفة المأمون وهارون الرشيد والمنصور وغيرهم الهدايا والكتب من تلك البلاد. فكان أول كتب الفلك والرياضيات التي حُملت إلى بلاط الخلافة أيام المنصور العباسي هو كتاب "ابراهيم سدهانتا" وتذكره الكتب العربية باسم "السند هند"، وكتاب "كهادিকা" المعروف باسم "أركند"، وكتاب "أريه بُهت" المعروف باسم "أرجهند" أعظم الفلكيين والرياضيين الهنود؛ وهو من أول الكتب التي يظن أن العرب تعلموا منها الأرقام الحسابية والنظام العشري وُترجمت إلى العربية.

ونقل العرب عن الفهلوية أو الهندية، في عداد ما نقلوا من الآثار العملية، القصص والحكايات والأمثال. وكان لدى الهنود أشكالاً عديدة للأرقام، فهذّب العرب بعضها وكونوا من ذلك سلسلتين، عُرفت إحداهما بالأرقام الهندية، وهي التي تستعملها أكثر البلاد العربية والإسلامية، وعُرفت الثانية بالأرقام الغبارية التي انتشر استعمالها في بلاد أوروبا عن طريق الأندلس. كما أوجد العرب طريقة جديدة، هي طريقة الإحصاء العشري، واستعمال الصفر. ونقلوا عن الهندية "حكايات ألف ليله وليلة" وطورها، وكذلك "كليلة ودمنة".

ونقل الرحالة والجغرافيون العرب منذ القرن التاسع معارفهم عن الهند، مثل رحلة السيرافي، التي قارنت بين عالمي الهند والصين، ورحلة ابن بطوطة الشهيرة. وقد دَوّن أبو ریحان البيروني (ت. 440هـ - 1048م) خلاصة تجارب رحلاته وتجوّله في ربوع الهند والتي استمرت أربعين عاماً، في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مردوده"، مقارنةً فيه ما بين ثقافات الهند والعرب واليونان. ولم تمض بضعة عشرات من السنين على فتح العرب للسند، وتشبيدهم مدينة المنصورة، زمن الأمويين، حتى طفقت أفواج من أهلها في التشارك في بناء الثقافة العربية

الإسلامية، فبرز رجالها في ميادينها، واشتهر منهم علماء في الحديث واللغة والأدب، مثل أبي معشر نجيب السندي المحدث وصاحب المغازي، وابن الإعرابي اللغوي، وابن سكيت، وأبي عطاء السندي المخضرم الشاعر. وأظهر العرب إعجابهم بمظاهر الحضارة الهندية، فلخص القلقشندي (من موسوعي القرن الخامس عشر)، نظرة العرب هذه بقوله: "الملك العظيم، والعدل الكثير، والنعمة الجزيلة، والسياسة الحسنة. وأهل الهند أعلم الناس بأنواع الحكمة، والطب والهندسة والصناعات العجيبة".

شهدت الفترة التاريخية من منتصف القرن الخامس عشر صراعاً على طرق الملاحة البحرية التجارية بين العثمانيين والبرتغاليين؛ فسيطرة البرتغاليين على الهند والمحيط الهندي وخضوع العرب وطريق البحر الأحمر للعثمانيين، أثرت في التفاعل بين العرب والهند، وتجارة التوابل عبر البحر الأحمر إلى أوروبا، وفي انخراط الهند بأوروبا، فقد حاول البرتغاليون البحث عن طرق بديلة لنقل تجارة التوابل عبر البحر الأحمر الذي كان تحت سيطرة العثمانيين بالالتفاف حول الساحل الغربي لأفريقيا، ما أدى عملياً إلى القضاء على طريق التجارة التاريخية التي اعتمدها العرب في تجارة التوابل بين الهند وأوروبا⁴. وشهد القرنان التاسع عشر والعشرين تفاعلاً نضالياً للعرب والهند يعود إلى دخولهما عصر الاستعمار الأوروبي، والبريطاني على وجه الخصوص، وقد كان للتاريخ الاستعماري المشترك بين الحضارتين أثرٌ في اعتماد العرب والهند مقارنةً مشتركة في مكافحة الاستعمار ودوراً رئيساً في حركة عدم الانحياز وذلك بعد حصول الدول العربية على استقلالها.

وفي أعقاب الحرب الباردة، أثرت التحولات على الساحة الدولية في العلاقات العربية - الهندية فتباعدت المواقف السياسية للطرفين من قضايا دولية وإقليمية عديدة. في المقابل، ازدهرت العلاقات الهندية مع إسرائيل، حيث ارتفع التبادل التجاري بين إسرائيل والهند من 200 مليون دولار في العام 1992 ليبلغ مليار دولار عام 2000 ولتصل إلى أكثر من أربعة مليارات دولار مع نهاية العام 2016⁵. ويشمل التعاون بينهما المجالات الأمنية والإستراتيجية إلى الشراكة في مجالات البحث والتطوير والتصنيع المشترك في قطاع الدفاع والعلوم والتكنولوجيا

⁴ أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة 13 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1979)، ص 106-103.

⁵ "First ever Indian PM visit to Israel amid booming defense ties," CNBC, June 30, 2017, at: <https://goo.gl/mmhLkV>

والتجارة والابتكار والزراعة والصحة والاتصالات السلوكية واللاسلكية والمياه والمدن الذكية. وسياسيًا، أدى انهيار الاتحاد السوفياتي والاعتبارات الأمنية الإقليمية للهند إلى دفعها للتقارب مع إسرائيل خاصة في مجال التكنولوجيا العسكرية، حيث أبدت إسرائيل مرونة كبيرة في تصدير السلاح إلى الهند⁶. وقد وقعت الحكومتان الإسرائيلية والهندية في نيسان/ أبريل 2017 صفقة تعتبر الأكبر في تاريخ الصناعات العسكرية الإسرائيلية بقيمة وصلت إلى ملياري دولار⁷. وقد أثر نمو العلاقة بين الجانبين في الموقف الهندي الداعم تاريخيًا للحقوق الفلسطينية.

تواجه الهند، على الرغم من مكانتها على الساحة الإقليمية والدولية، صعوبات تنموية كبرى، حيث تضم ثلث عدد الفقراء في العالم، وهي من الدول التي تتصدر مشاكل الأمن الغذائي، فضلًا عن العجز المالي وتباطؤ الاستثمار في القطاع الخاص وضعف القدرة على معالجة التلوث؛ فالهند تحتاج إلى 2.5 ترليون دولار لتلبية خطط العمل المتعلقة بالتغير المناخي حتى 2030، وتحتاج إلى 200 مليار دولار لتنفيذ مشاريع في قطاعات الزراعة والنظم البيئية. وتضطر الهند إلى الاعتماد على الطاقة كمحفز رئيس في تلبية احتياجاتها المحلية التنموية، وهي تعاني عجزًا كبيرًا في هذا القطاع، حيث يفتقر 25 في المئة من السكان إلى الكهرباء. لذا فقد أضحت ثالث أكبر مستهلك للطاقة في العالم مع توقعات بارتفاع هذا الاستهلاك بنسبة 25 في المئة حتى العام 2040. كما تواجه معضلة تنموية داخلية كبرى على الرغم من الإصلاحات الاقتصادية التي أقرتها الحكومة في الآونة الأخيرة، وتسعى من خلالها لتشجيع الاستثمار وتقليل الهيمنة البيروقراطية وخفض نسبة الفساد الذي وضعها بالمرتبة 79 على مستوى العالم وفق منظمة الشفافية العالمية⁸.

بناءً عليه، يتطلب أي شكل من العلاقات العربية - الهندية مقارنة بحثية إستراتيجية تأخذ في الاعتبار أربعة جوانب رئيسية، أولاً، مكانة الهند السوقية وحصتها على مستوى العالم واحتلالها المرتبة التاسعة عشرة من حيث

⁶ Ashok Sharma & Dov Bing, "India-Israel relations: The evolving partnership," *Israel Affairs*, vol. 21, no. 4 (2015).

⁷ "Israeli Firm Inks Historic \$2 Billion Defense Deal with India," *Jerusalem Post*, April 6, 2017, at: <https://goo.gl/zxBgmG>

⁸ "Transparency International Corruption Perceptions Index 2016," Transparency International, 2016, at: <https://goo.gl/SLmRJU>

التصدير؛ فإجمالي صادرات الهند السلعية إلى الأسواق العالمية يصل إلى 265 مليار دولار⁹. ثانيًا، استيراد الهند لحاجاتها من الطاقة؛ فالهند تستورد 86 في المئة من حاجاتها النفطية من دول منظمة الأقطار المصدرة للنفط "أوبك"، وإلى جانب كونها ثالث أكبر مستورد للنفط في العالم، تحتل المركز الرابع كأكبر مستورد للغاز الطبيعي المسال في العالم¹⁰. لكن أهمية دول الخليج العربية لها في قطاع الطاقة، لم تمنعها من توفير احتياجاتها النفطية من إيران أيضًا، حيث تعتبر ثاني أكبر مشترٍ للغاز من إيران بعد الصين، ويصل حجم ما تستورده منها إلى ما يكافئ 400 ألف برميل نفط يوميًا. ثالثًا، طموحات الهند الإقليمية والدولية؛ فالتقارب الجغرافي الذي يحدد علاقة الهند بجيرانها العرب منذ بداية القرن الحالي واكبه طموح ليس لتأمين مصادر الطاقة فحسب، وإنما لضمان مصالح إستراتيجية متبادلة مع العرب ودول الخليج العربية خصوصًا، وقد ظهر ذلك في سياسة رئيس الوزراء الهندي الحالي ناريندرا مودي بعنوان "التواصل مع الغرب" كناية عن غرب آسيا¹¹؛ فانكفاء الولايات المتحدة الأميركية من المنطقة فاقم من اهتمام الهند بالشرق الأوسط عمومًا في ظل تنامي التنافس مع الصين. أخيرًا، تستدعي مصالح الدول العربية تنويع شراكاتها مع القوى الإقليمية والدولية والصاعدة، فتعظيم العرب لمصالحهم مع الهند يستدعي التعاون معها في تطوير قطاع التكنولوجيا والتصنيع والاستفادة من حاجة دول الخليج العربية إلى تنويع اقتصاداتها، في الوقت الذي تحتضن فيه هذه الدول سبعة ملايين عامل هندي وتستورد جزءًا كبيرًا من احتياجاتها السلعية من الهند، بينما تعتمد الهند على دول الخليج العربية في تأمين حاجاتها من النفط والغاز الطبيعي المسال.

تفتح السياسة التي أطلقها رئيس الوزراء الهندي في عام 2014، المتعلقة بالتواصل مع منطقة غرب آسيا التي يحتل العرب الجزء الأكبر منها، الباب واسعًا أمام إنشاء شراكة إستراتيجية عربية - هندية تتجاوز الصور النمطية والشعارات الأيديولوجية التي كانت رهينة للسياسة الداخلية الهندية، وتحقق للطرفين مصالحهم المشتركة

⁹ التبادل التجاري بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية وجمهورية الهند.

¹⁰ ناصر التميمي، "العلاقات الهندية - الخليجية: هل تصبح الهند "الصين الجديدة"؟" مركز الجزيرة للدراسات، 2016، في:

<https://goo.gl/cZA6GJ>

¹¹ كديرا بتياغودا، "العلاقات بين الهند ودول مجلس التعاون الخليجي: فرصة استراتيجية لدلهي"، مركز بروكغز الدوحة، 2017، في:

<https://goo.gl/u6RMPx>

وتقلل من اعتماد العرب التقليدي على الغرب في المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية. وعلى نطاق أوسع، فإن الاضطرابات السياسية والتنموية التي يعيشها العرب والهند وتراجع التحالفات والشراكات التقليدية تعطي دورًا للانفتاح على شراكة هندية مع العرب.

المؤتمر

نظرًا إلى أهمية العلاقات العربية - الهندية والحاجة إلى استشراف مستقبلها في ظل تفاعل حضاري عميق وتاريخ مشترك، يعقد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤتمرًا أكاديميًا بعنوان "العرب والهند: تحولات العلاقة مع قوة ناشئة ومستقبلها"، في إطار سلسلة مؤتمرات العرب والعالم التي عقد منها حتى الآن: العرب وإيران (2010)، والعرب وتركيا (2011)، والعرب والقرن الأفريقي (2011)، والعرب والولايات المتحدة الأمريكية (2014)، والعرب وروسيا (2015)، والعرب والصين (2016)، والعرب والكرد (2017). وبناءً عليه، يدعو المركز العربي للباحثين والأكاديميين والمختصين إلى المشاركة في المؤتمر عبر تقديم ورقة بحثية قابلة للتحكيم، وذلك في أحد المحاور التالية أو غيرها:

1. العلاقات التاريخية بين العرب والهند.
2. التفاعلات الثقافية بين العرب والهند.
3. مرحلة عدم الانحياز والعلاقات العربية - الهندية.
4. التجربة الهندية في التنمية والاستفادة منها عربيًا.
5. انعكاسات صعود الهند على العلاقة مع العرب.
6. الهند وإسرائيل وقضية فلسطين: تحولات المواقف والسياسات.

7. الجاليات الهندية في دول الخليج العربية، سياسات الهجرة وحقوق العمالة وانعكاساتها على العلاقات بين الطرفين.

8. سؤال الطاقة في العلاقة بين العرب والهند، وهل ثمة مستقبل لتعاون خارج مجال الطاقة؟

الخطوات الإجرائية

تدعو اللجنة العلمية للمؤتمر الباحثين والأكاديميين والمختصين إلى إعداد بحوثهم وتقديمها، بحيث يجري استلام ملخصات الأوراق البحثية المقترحة Abstracts (في حدود 400 كلمة) في موعد أقصاه 20 أيلول / سبتمبر 2017؛ على أن يوضح الملخص إشكالية البحث وأهميته وما سيقدمه من جديد، إضافةً إلى قائمة المصادر والمراجع المحتملة. ويجري تسليم البحوث التي توافق عليها اللجنة العلمية للمؤتمر، بحيث تكون قابلةً للتحكيم ومراعيةً مواصفات الورقة البحثية التي يعتمدها المركز، في موعد أقصاه 1 شباط / فبراير 2018. وتقوم اللجنة العلمية بإعلام الباحث بقرارها، أو النظر في مقترحاتها لتطوير جودة البحث، أو إجراء بعض التعديلات عليه. يرجى توجيه المراسلات إلى العنوان الإلكتروني التالي:

arab-indiaconf@dohainstitute.org